

الإسكندرية في عيون الصحافة الفرنكفونية المصرية في بداية القرن العشرين

ياسمين عادل حجاج

مدرس مساعد بقسم اللغة الفرنسية وآدابها،

كلية الآداب، جامعة الإسكندرية

الملخص

ازدهرت الصحافة الفرنكوفونية المصرية في بداية القرن العشرين؛ حيث زاد عدد الصحف المنشورة باللغة الفرنسية في مصر. واحتلت مدينة الإسكندرية مكانًا مهمًا في هذه الحركة الصحفية وقد قام عدد كبير من المصريين والأجانب الناطقين بالفرنسية في الإسكندرية بالمشاركة في تحرير هذه الصحف. وسنقوم بعرض مجموعة مختارة من الصحف الفرنكوفونية المصرية، وقد تمكنا من مطالعتها في مركز الدراسات السكندرية، ونعتزم دراسة ما تقدمه هذه الصحف من معلومات تخص مدينة الإسكندرية سواء عن طريق النص أو الصورة. وبهذا نجيب على التساؤلات الآتية: ما هي حركة الصحافة الفرنكوفونية المصرية؟ وأين هي من الصحافة المصرية بصفة عامة؟ وما أهمية اللغة الفرنسية في المجتمع السكندري في هذا الوقت؟ وكيف كانت الإسكندرية في القرن العشرين حسب ما قدمه محررو هذه الصحف وما الذي حبّوه؟ ومتى تم إدخال الصورة في الصحافة؟ وماذا كانت استعمالاتها؟ وماذا عن الصحافة المصورة؟ ويتناول موضوع البحث الحضارة المشتركة بين مصر وفرنسا كما يتناول أيضا المجال الأدبي والفني ودراسة تحليل النص والصورة.

La presse francophone d’Egypte a connu un grand essor au début du vingtième siècle vu l’augmentation du nombre de journaux publiés en français. Alexandrie a joué un rôle important dans cet essor journalistique francophone. Plusieurs Alexandrins égyptiens et étrangers ont participé à la rédaction de ces journaux. Nous exposerons quelques publications choisies parmi les numéros disponibles au Centre des Etudes Alexandrines et nous avons l’intention d’y étudier le texte et l’image représentatifs d’Alexandrie. Nous répondrons ainsi à ces questionnements : Qu’est-ce que la presse francophone d’Egypte ? Où en est-elle par rapport au journalisme arabe ? Quelle est l’importance de la langue française dans la société alexandrine de l’époque ? Comment était Alexandrie au début du vingtième siècle selon les rédacteurs de ces journaux et qu’ont-ils caché ? Quand l’image a-t-elle été insérée dans la presse ? Pour quels usages ? Qu’est-ce que la presse illustrée ? Cette recherche traite de la civilisation commune entre l’Egypte et la France ainsi que des domaines littéraire et artistique et de l’analyse du texte et de l’image.

إذا تحدثنا عن الصحافة الفرنكفونية المصرية اليوم فلن نجد إلا جريدة Al Ahram Hebdo و التي انضمت إلى عائلة الأهرام في عام ١٩٩٤ و جريدة Le Progrès égyptien و هي جريدة ذات تاريخ طويل أنشئت منذ عام ١٨٩٣، أما إذا عدنا بالزمن إلى أواخر القرن التاسع عشر و بدايات القرن العشرين، فسنتكشف أن حجم الصحافة الفرنكفونية في مصر كان هائلا.

يصعب حصر عدد الصحف المكتوبة بالفرنسية في هذا الوقت، لكن إذا رجعنا لما وصلت إليه الباحثة Irène Fenoglio و ما حددته في إحدى مقالاتها فسنعجد أن العدد التقديري لهذا الإنتاج الصحفي هو ١٥٠ صحيفة مكتوبة بالفرنسية على طول السنوات الأولى للقرن العشرين وهو عدد ليس بالقليل، وكذلك بالنسبة لإجمالي الصحف الأجنبية في مصر، يقدر عدد الصحف المكتوبة باللغة الفرنسية في عام ١٩٣٨ ب ٦٧ مقابل ٣٤ صحيفة مكتوبة بلغات أجنبية أخرى مثل اليونانية (١٦) و الإنجليزية (٦) و الإيطالية (٥) و الأرمنية (٤) و التركية (١) و الفارسية (١) و الهندوستانية (١).^١

و من هنا، السؤال الذي يطرح نفسه هو : لماذا تواجدت كل هذه الصحف؟ و لماذا كتبت باللغة الفرنسية و كاد إجمالي عددها يصل إلى عدد الصحف باللغة العربية؟ و أيضا لماذا اختفت و لم يتبق منها اليوم إلا صحيفتان؟ هذا هو أول سؤال سنحاول الإجابة عليه من خلال الرسالة موضوع البحث بعنوان : "الإسكندرية في عيون الصحافة الفرنكفونية المصرية في بداية القرن العشرين".

و لا يقتصر موضوع البحث على هذه الإشكالية حول الصحافة الفرنكفونية في مصر وعلاقتها بالحضارة المصرية الفرنسية المشتركة و بتاريخ القرنين التاسع عشر و العشرين، و إنما يركز على مدينة الإسكندرية و دورها في رواج هذه الصحافة و ظهور هذه المدينة و تصويرها في هذه الصحافة، و بالتالي فهو يركز أيضا على التصوير في الصحف و تدرج الصحافة حتى تحولها من صحافة مكتوبة إلى صحافة مكتوبة و مصورة.

ينطلق البحث من فحص عدد من الجرائد و المجلات لاختيار تلك التي سوف تمثل نواة بحثنا. أولا، أين يمكن الحصول على أعداد مر عليها ما يصل و أحيانا يجاوز المائة عام مع العلم بأن هذه الصحف لم تكن تجمع في أرشيف؟ للتغلب على هذه المشكلة اعتمدنا على مشروع مركز الدراسات

1 FENOGLIO, Irène, "Egyptianité et langue française : un cosmopolitisme de bon aloi" in Entre Nil et sable : Ecrivains d'Egypte d'expression française (1920-1960), Centre national de documentation pédagogique, 1999, 332 p.

السكندرية لرقمنة الصحافة الفرنكفونية المصرية، فقد قام المركز بجمع أعداد هائلة من الصحف الفرنكفونية القديمة سواء عن طريق شرائها بالمزادات على شبكة الإنترنت أو اعتماداً على إهداءات القراء الناطقين بالفرنسية الذين كانوا يقرءون هذه الجرائد و المجلات و لم يفرطوا فيها، و استطاع المركز بالفعل جمع أعداد كثيرة من ٥٨ إصداراً مختلفاً، و الأعداد لا تزال في زيادة مستمرة.

ثانياً، بما أنه يستحيل دراسة ٥٨ إصداراً مختلفاً تتكون أعدادها من آلاف الصفحات، فعلى أى أساس يمكن حذف وتحديد الأعداد التي ستشكل نواة البحث؟ بدايةً، لقد اقتصرنا على الصحف الصادرة منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى نهاية فترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية، أي توقفنا عند العام ١٩٣٩ مع بداية الحرب العالمية الثانية، وهذا التحديد للحقبة الزمنية يرجع إلى أن هذه الحقبة كانت الأكثر شهوداً للإنتاج الصحفي الفرنكفوني، والذي سوف يضعف حتى يكاد يتلاشى في أواخر الستينيات. و قد ساعد هذا التحديد الزمني على تقليل أعداد الصحف القابلة للدراسة في إطار هذه الرسالة وساعد على تركيز الدراسة على أهم هذه الصحف، و لنمر بسرعة على عناوين أهم الصحف المتاحة لهذه الفترة :

Alexandrie Reine de la Méditerranée (الإسكندرية ملكة المتوسط)،
L'Alexandrin (السكندري)، Le Bosphore (البوسفور)، Le Canal (القنال)، Le Delta
(الدلتا)، L'Economiste Egyptien (الاقتصادي المصري)، L'Egypte nouvelle
(مصر الجديدة)، L'Egyptienne (المصرية)، La Femme nouvelle (المرأة الجديدة)، Le
Flambeau (الشعلة)، Le Journal d'Egypte (جريدة القاهرة)، L'Illustration égyptienne
(المصورة المصرية)، Images (صور)، Josy Journal (جريدة جوزي) L'Informateur (المبلغ)،
Le Journal du Commerce et de la Marine (جريدة التجارة والبحرية)، Le Journal
d'Egypte (جريدة مصر)، Le Journal Officiel (الجريدة الرسمية)، Le Journal Suisse
(الجريدة السويسرية)، La Décade (العقد)، La Réforme (الإصلاح)، La Voix de l'Orient
(صوت الشرق)، Le lien (الوثاق)، Le Messenger (الرسول)، Le Phare d'Alexandrie
(فنار الإسكندرية)، Les Nouvelles (الأخبار)، Les Nouvelles 2 (الأخبار ٢)،
L'Observateur (الملاحظ)، Loisirs (التسالي)، La Revue d'Egypte (المجلة المصرية)، La
Revue internationale d'Egypte (المجلة الدولية لمصر)، La Revue médicale de l'Orient
(المجلة الطبية للشرق)، Rialto (ريالتو)، La Semaine égyptienne (الأسبوع المصري)، Un

Le effort (الجهود)، Les Conférences de l'Union (ندوات الاتحاد)، Valeurs (قيم)، Le Lotus (اللوتس)، Ma Revue (مجلتي)، La Réforme Illustrée (الإصلاح المصورة)، La Revue de droit international (مجلة الحقوق الدولية)، La Revue du Caire (مجلة القاهرة) إلخ.

وعلى نحو آخر، فقد استبعدنا كل ما له صلة ببعض الأنواع الكتابية كالمنشورات والكراسات و الأبحاث والمجلات الخاصة وصاحبة التوجهات المعينة و الكتيبات التي لا تتسم بالطابع الصحفي أو الأدبي بل تركز على نمط المقال الأكاديمي والأيدولوجي. فعلى سبيل المثال، لم يقع اختيارنا على Les Cahiers de l'Atelier de وهي كراسات تضم مقالات علمية لكل الندوات التي أقيمت في أتيليه الإسكندرية، ولم يقع اختيارنا على مجلة Le Périscope (المنظار) والتي تعد منشوراً شبه رسمياً كان يصدره الاتحاد الفرنسي للمحاربين القدامى والجنود وقرأ فيه مجمل النشاط السنوي لهم خاصة في الفترة من ١٩١٩ حتى ١٩٤٤، ولم يقع اختيارنا أيضاً على L'Illustration juive (المصورة اليهودية) والتي صدرت عام ١٩٢٩ في مدينة الإسكندرية لنشر أفكار دينية، ولم نختار كذلك Le Journal des Tribunaux Mixtes (جريدة المحاكم المختلطة) مثلاً ولا كتالوج Rialto (ريالتو) الخاص بسينما ريالتو بالإسكندرية إلخ.

ومن خلال فحصنا للصحف الفرنكفونية المصرية عن قرب، وبعد دراسة نوعية كل إصدار والتعرف على محرريه وعلى ما يحتويه من أبواب وعلى ظروف و تاريخ صدوره وعلى وجود الإسكندرية فيه سواء في النص أو عن طريق الصورة وعلى محتواه الإعلاني وبالتالي بعد التعرف على مكانه وسط حركة الصحافة الفرنكفونية المصرية، قمنا باختيار مجموعة من الإصدارات لتصبح محل الدراسة.

وقد راعينا أن تحتوي هذه الإصدارات بالضرورة على وجود لمدينة الإسكندرية بداخلها وأن يلاحظ هذا الوجود من خلال النص و الصورة في الوقت نفسه، وبذلك صارت الصحف التالية هي نواة رسالتنا :

L'Egypte nouvelle (مصر الجديدة) و L'Egyptienne (المصرية) و La Réforme Illustrée (مجلة الإصلاح المصورة) و Portique /Alexandrie Reine de la Méditerranée (مجلة الإصلاح المصورة) و de l'Orient (مجلة الإسكندرية ملكة المتوسط/بوابة الشرق) و Ma Revue (مجلتي).

L'Egypte nouvelle (مصر الجديدة) :

بدأ إصدار هذه الجريدة بالقاهرة في عام ١٩٢١ وانتهى في عام ١٩٥٧. و كانت الجريدة أسبوعية اشترك في تحريرها مصريون-مثل الشاعر أحمد راسم وأجانب من الناشطين في الحياة السياسية والاجتماعية المصرية وفنانون مصريون مثل محمد ناجي ومحمود سعيد وأجانب وقد نشرت الجريدة أعمال مفكرين و شعراء فرنسيين أبرزهم الشاعر Jacques Prévert (جاك بريفار)، كما اشترك في التحرير العديد من الكتاب الذين كانوا يكتبون مستخدمين أسماء مستعارة طريفة مثل شيخ البلد و فنتازيو Fantasio ورينتيتين Rintintin و أبو الهول Le Sphinx .

وكانت الجريدة تتناول الموضوعات السياسية والأدبية والاجتماعية. أنشأ جريدة L'Egypte nouvelle (مصر الجديدة) José Canéri (جوزي كانيري) وهو من أم قبطية مصرية وأب قادم من كورسيكا، وكان جوزي يعمل كمحام في المحاكم المختلطة وقد سبق أن شارك في العمل الصحفي حيث كتب في جريدة La Liberté (الحرية) التي أنشأها Léon Castro (ليون كاسترو) و Edgard Gallad (إدجار جلاد).^١

كان جوزي كانيري معروف بدفاعه عن حرية الرأي وبنقده اللاذع للسياسيين و للقوانين الدينية، مما تسبب في وقف إصدار الجريدة من ١٩٢٦ وحتى الأربعينيات، وعاد الإصدار بصورة منتظمة في ١٩٤٧ حتى وفاة جوزي كانيري في ١٩٥٧.^٢

L'Egyptienne (المصرية) :

ظهرت L'Egyptienne (المصرية) بالقاهرة في عام ١٩٢٥ حتى ١٩٤٠، وهي مجلة شهرية عن السياسة و الاجتماع والفن وأيضا عن الحركة النسوية، فقد أسستها هدى شعراوي ورأست التحرير الأنسة سيزة نراوي وضمت المجلة كتاباً من الجنسين ولكن أكثرهم من النساء مثل Juliette Adam (جوليت آدم) و Jéhan d'Ivray (جيهان ديفري) و درية شفيق ومي زيادة وغيرهن.

1 LUTHI, Jean-Jacques, Lire la presse d'expression française en Egypte (1798-2008), L'Harmattan (Coll. "Comprendre le Moyen-Orient"), 2009, 310 p.

2 Op. Cit., pp. 180-183.

وكانت المجلة تبدأ دائما بصورة في الغالب لإحدى الشخصيات النسائية الناجحة. وقد قامت السيدة هدى شعراوي بتأسيس المجلة و اختارت أن تكون باللغة الفرنسية حتى تتمكن الغرب من التعرف على المرأة المصرية بعيداً عن ما صاغته القصص و الخيالات عن غموضها و سجنها، وحتى يعرف الغرب الحالة السياسية والاجتماعية لمصر، وهذا هو ما قالت هدى شعراوي في العدد الأول من المجلة.^١

و نلاحظ أن كلمة Politique (سياسة) غير موجودة على غلاف المجلة لكنها مكتوبة داخل المجلة كإحدى الموضوعات المتناولة بالمقالات المختلفة. فنجد هذه العبارة على الغلاف : Féminisme. Sociologie. Art. (الحركة النسوية، اجتماع، فن) لكن نجد داخل المجلة بعد العنوان هذه العبارة : Politique. Féminisme. Sociologie. Art. (سياسة، الحركة النسوية، اجتماع، فن) وقد يرجع ذلك إلى الرغبة في عدم الصدام مع المجتمع الذي يرفض تدخل المرأة في الحياة السياسية.

La Réforme Illustrée (مجلة الإصلاح المصورة) :

مجلة الإصلاح المصورة وليدة الإسكندرية في عام ١٩٢٥ حتى ١٩٦٤، وهي أسبوعية تظهر في أيام الآحاد وهي لا تهتم بالسياسة لكنها مجلة خفيفة اجتماعية ورياضية وأدبية و أغلب محرريها من الأجانب.

بعد الحرب العالمية الأولى، مال الناس إلى الابتعاد عن كل ما هو جاد، وذلك عوضاً عن أيام الحرب الصعبة، و اتجه الناس إلى السينما و إلى الصورة بدلا من النصوص و الآداب، وهذا هو ما دفع Raoul Canivet (راءول كانيفي) لإصدار مجلة جديدة إلى جانب La Réforme (الإصلاح) وهي جريدة سياسية جادة، رغبة منه في تلبية احتياجات القراء والتخفيف عليهم.^٢

^١ CHARAOUI, Hoda dans *L'Egyptienne*, Première année, Numéro 1, Premier février 1925, p. 5.

^٢ *La Réforme Illustrée*, 1925-1950, Numéro spécial, p. 22.

و لكن هناك رواية أخرى تقول إن راعول كانيفي أصدر المجلة لمنافسة مجلة Le Phare Egyptien (الفنار المصري) والتي حاول صاحبها Géronimidis (جيرونيميدس) طباعة أعدادها في نفس مطبعة جريدة La Réforme (الإصلاح) مما استفز المحرر.¹

مجلة) **Alexandrie Reine de la Méditerranée/Portique de l'Orient**

الإسكندرية ملكة المتوسط/ بوابة الشرق) :

ظهر هذا الإصدار في عام ١٩٢٨ ولم يظهر إلا ٣ أو ٤ مرات وتغير اسمه في العدد الأخير ليصبح Alexandrie Portique de l'Orient (الإسكندرية بوابة الشرق) بدلا من Alexandrie Reine de la Méditerranée (الإسكندرية ملكة المتوسط) مما يعكس تحول المدينة التدريجي من الانفتاح على بلاد المتوسط و على أوروبا إلى الدعوة لاكتشاف الشرق عبر مصر وتحمل مصر مسئولية بلاد الشرق.

و كان العدد يصدر كل عامين و تصدره بلدية الإسكندرية وبالأخص "نقابة المبادرة" التابعة للبلدية، وشارك في تحرير المجلة مصريون وأجانب منهم كثير من الشخصيات المرموقة سواء في مجال الأدب أو السياسة مثل النائب عزيز أنطوان و مدير المتحف اليوناني الروماني Evaristo Breccia (إيفارستو بريكتشا) و الشاعر الفرنسي الذي عاش بالإسكندرية Henri Thuile (هنري تويل) وغيرهم، ونلاحظ أن جميعهم من الشخصيات السكندرية.

و تتناول المجلة كل ما يخص مدينة الاسكندرية، وتعتبر هذه المجلة التي كانت توزع مجانا في ١٦ من البلاد الأجنبية وعلى متن بواخر البحر المتوسط بمثابة دعاية سياحية للمدينة من خلال النصوص الأدبية والمقالات المختلفة التي تعرض معالم المدينة وإنجازات البلدية فيها في ذلك الوقت كإنشاء إستاد الإسكندرية و شركة ترام الرمل، كما تحتوي على مقالات أكاديمية عن تاريخ المدينة ولا تخلو من الشعر.

و تزدان المجلة بصور فوتوغرافية متنوعة ورسوم و تكثر بها الإعلانات عن وكالات السفر والسيارات والفنادق و محلات الذهب و الكازينوهات وآلات (كوداك) للتصوير، إلخ.

1 LUTHI, Jean-Jacques, Op. Cit., pp. 46-47.

Ma Revue (مجلتي) :

بدأ نشر Ma Revue (مجلتي) في عام ١٩٣٠ ، ويبدو أنها انقطعت مع بداية الحرب العالمية الثانية، وهي مجلة شهرية تصدر في الإسكندرية، ووفقا لطبيعة الموضوعات التي تتناولها المجلة، نستطيع أن نفهم أنها كانت موجهة إلى طبقة معينة من الأثرياء؛ حيث تتحدث المجلة عن الحفلات والسيارات والسينما والرياضة وتركز أيضا على أخبار سباقات الخيل، ويعتبر سعر العدد " ١٠ قروش " أعلى من أسعار المجلات الأخرى بصفة عامة ولا يبدو أن سبب ذلك هو فقط احتواء المجلة على الصور الفوتوغرافية.

حرر هذه المجلة René Avellino (رينو أفيلينو) و هو أحد أكثر العناصر نشاطا في مجال الصحافة الفرنكفونية، وقد سبق أن شارك في تحرير وإدارة La Réforme Illustrée (مجلة الإصلاح المصورة).

وسوف تنقسم الرسالة بإذن الله إلى جزئين. يتناول الجزء الأول منها الشق التاريخي للرسالة من أجل الإجابة عن الأسئلة المطروحة عن سبب انتشار الصحافة الفرنكفونية و وضع اللغة الفرنسية في مصر وبالتالي أهمية اللغة الفرنسية مقارنة باللغات الأجنبية الأخرى في هذا الوقت، وأهمية الصحافة الفرنكفونية مقارنة بالصحافة العربية و المكتوبة بلغات أجنبية أخرى، وارتباطها بحركة الصحافة الفرنسية و العالمية وكذلك أهمية الصورة في الصحافة بصفة عامة وفي الصحف الفرنكفونية التي تم اختيارها للدراسة التفصيلية بصفة خاصة.

أما الجزء الثاني من الرسالة فسوف يتناول خصوصية تصوير مدينة الاسكندرية من خلال النص و الصورة داخل هذه الصحف التي حررها أحيانا فرنسيون وأحيانا أكثر مصريون وشوام وأجانب من مختلف الجنسيات تجمع بينهم اللغة الفرنسية والتعلق بمصر أو بالإسكندرية.

وقد وردت مدينة الإسكندرية في النصوص المختلفة في الأشعار والمقالات التاريخية والأدبية والتقارير والأخبار الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والإعلانات والدعاية السياحية بحيث عكست صورة للمجتمع السكندري وللمدينة في هذا الوقت وفقا لما يراه الصحفيون و القراء الفرنكفونيون.

أما بالنسبة للصورة، فترى صوراً توثق جمال المدينة أو أحداثها أو المشروعات التي تتم بها ورسوماً تصور رؤية الفنانين والشعراء للمدينة أو تجسد الإسكندرية مثل تلك الفتاة الشقراء التي

ابتكرتها La Réforme Illustrée (مجلة الإصلاح المصورة) وعبرت عن بعض أحوال المدينة خلال الظروف المتغيرة التي مرت بها.

و يعتمد بحثنا على مراجع متنوعة في مجال تاريخ و تطور الصحافة من ناحية، وتاريخ الصحف الفرنكفونية والإسكندرية وما كتب حول المدينة و تصويرها، ومن ناحية أخرى، علم تحليل الصورة، والعلاقة بين النص و الصورة، وتفسير استخدامات الصور، وأيضا الصور الإعلانية التي لها تاريخ و سيكولوجية ذات طابع خاص، ومن أمثلة هذه المراجع :

- BARTHES, Roland, "Rhétorique de l'image" in *Communications*, Numéro 4, Seuil, 1964.
- KRAEMER, Gilles, *Trois siècles de presse francophone dans le monde : Hors de France, de Belgique, de Suisse et du Québec*, L'Harmattan, 2000.
- COLLECTIF, *Alexandrie entre deux mondes*, Edisud, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, 4ème trimestre 1987, Aix-en-Provence, 199 p.

وسيقوم البحث ببناء إطار نظري يضيف إلى قيمة تلك الصحف المنفرقة التي قام مركز الدراسات الإسكندرية بجمعها، ودراسة صورة الإسكندرية في عيون المجتمع الفرنكفوني في بدايات القرن العشرين.